

تفسير السعدي

ج
وَالضَّالِّينَ هُمْ وَالْمُرْتَدِّينَ هُمْ وَالْمُرْتَدِّينَ هُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ أَيْدِيَنَا وَأَنْتُمْ سَاهُونَ
وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا

{ وَالضَّالِّينَ هُمْ } أي: عن الصراط المستقيم ضلالا في العلم، وضلالا في العمل. }

وَالْمُرْتَدِّينَ هُمْ } أي: مع الإضلال، لأمنينهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا هو الغرور بعينه،

فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى

شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك

باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم، { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ

كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ } { كَذَلِكَ زِينَةً لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ } { قُلْ هَلْ

نَبِئْتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

يَحْسِنُونَ صُنْعًا } الآية. وقال تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: { أَلَمْ

نُكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ

جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ } وقوله: { وَالْمُرْتَدِّينَ هُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ أَيْدِيَنَا } أي:

بتقطيع آذانها، وذلك كالبخيرة والسائبة والوصيلة والحام فبئس ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة ما هو من أكبر الإضلال. { وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ } وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر والنمص والتفلج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن. وذلك يتضمن التسخط من خلقةه والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدييره، ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان. فإن كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودونه أو ينصرّونه أو يمجّسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبّه ومعرفته. فافتروا عليهم الشياطين في هذا الموضوع افتراس السبع والذئب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المرید

لهم الشر من كل وجه، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا

قال: { وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا } وأي خسار أبين

وأعظم ممن خسر دينه ودنياه وأوبقته معاصيه وخطاياها؟! فحصل له الشقاء الأبدي،

وفاته النعيم السرمدى. كما أن من تولى مولاه وآثر رضاه، ربح كل الربح، وأفلح كل

الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما

منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت.